انتشارالاسلام في إفريقيا جنوب الصحراء

تمهيد : يعتبر انتشار الاسلام في إفريقيا جنوب الصحراء فصلا مهما في تاريخ القارة السمراء وقد دخل الاسلام في القرن السابع عبر مصر سنه إقليما بيزنطيا وهذه الاخيرة تعتبر الإقليم أول الأقاليم التي فتحها المسلمون ثم جاء بعدها الفتح العربي الكبير لشمال إفريقيا التي كانت هي الاخرى أجزاء منها تحت سيطرة البيزنطية.

ويذكر أن الأساليب التي انتشر فيها الاسلام في منطقه إفريقيا جنوب الصحراء تختلف عن الأساليب التي فتحت بها شمال إفريقيا الا ببعض الاستثناءات

ثم ان انتشار الاسلام في منطقه إفريقيا جنوب الصحراء لم يكون على نمط واحد وإنما اختلف انتشاره من منطقه الى أخرى.

1/ القوافل التجارية : ففي منطقه السودان الغربي والأوسط دخل الاسلام لهذا الإقليمين عبر الصحراء الكبرى عن طريق القوافل التجارية وكانت مدينه تادمكت التجارية أول مركز في السودان الغربي يتحول الى الاسلام وينتشر بين السكان الإفريقيين وتركز بعدها في المراكز التجارية الحضارية التي مر بها التجار واستقر بها في اختلف القرى السياسيه ايضا مثل الحواضر والدويلات التي كانت قائمه آنذاك السودان الغربي والأوسط كدوله غانا التي كان بها حي يحوي 12 مسجدا.

وكان لاقتران الاسلام بالتجارة ظاهرة معروفه بإفريقيا جنوب الصحراء كانت المجموعات الأكثر نشاطا في التجارة خلال القرون التالية الهوسا الديولا الديانكة بين أول من تحولوا الى الاسلام عند اتصال بلدانهم بالمسلمين ويمكن تفسير الظاهرة بعوامل السيس و سرياسية وثقافيه واقتصاديه والإسلام بوصفه دينا ظهر في مجتمع مكة التجاري ودعاء إليه نبي كان هو نفسه لبصره طويلة يعمل بالتجارة فقد ساعدت هذه القواعد الاخلاقيه والعملية التي ترطب التي ترتبط لفترة طويلة ارتباطا وثيقا بالأنشطة التجارية على تنظيم العلاقات التجارية وضبطها مقدمه إيديولوجيه توحد بين مختلف أمراض الجماعات العرقية.

كوّن المسلمون في تلك الفترة الأولى مجتمعات صغيره متفرقة على امتداد طرق التجارة الرئيسية في كل مناطق الساحل كل منطقه الساحل والسودان وهكذا ظهر الاسلام في البداية لا عن طريق اعتناق جماهيري واسعة وإنما في شكل جيوب حضريه إسلاميه في مراكز ألتجاره والسلطة السياسيه هذه المستقرات شكلت القواعد اللازمة لنشر الاسلام فيما بعد وبعد تواصل انتشار الاسلام في السودان الغربي وتحول بعض الأسر الحاكمة إليهم امتداده هكذا في المجالس السياسي مرتبط بقيام حركه المرابطين الذي أدت الى أسلمت بربر الصحراء كليا مثل اختار

وهجرتهم جنوبا حيث تمكنوا من السيطرة على عاصمة دوله غانا عام 460 هـ1067 م وتمكن من تحويل الأسر الحاكمة في مالي الى الاسلام وإسلمت السرونانكي وبعض زعماء أعالى السنغال.

لعب ملوك هذه الدول دورا واضحا في نشر الاسلام في السودان الغربي ومثال ذلك الدولة الذي قام به من منسي موسى حاكم مالي في نشر الاسلام بين قبائل الماندين غ وفي أواسط بلاد النيجر وبعد مرابطين وبعد المرابطين ظهر الموحدون كورث ة لهم في مطلع القرن الثاني عشر وعملوا على نشر الدين الإسلامي في السودان ومنذ منتصف القرن 18 تكفلت الطرق الصوفية بنشر الاسلام

كان لتطوير نظم التجارة وطرقها في عهد الفتح الاسلام للشما ل الإفريقي أثاره في نشر الدعوة الإسلامية جنوب الصحراء وكان من ابرز هذا التطوير ما قام حفيد الفاتح عقبة بن نافع أواخر الحكم الأموي من حفر سلسلة من الآبار التي تصل بين واحات إفريقيا وبين اودغست مما مهد الطريق أمام القوافل التجارية للتوغل في غرب إفريقيا عبر الصحراء بعد ان كانت مقصورة على الساحل

أهم المدن والمراكز التجارية: بربره ببلاد الصومال مدينه زيل ع عند مدخل باب المندب بشمال مدينه بربره مدينه مصوع - ميناء عذاب -مرزق وزويلة -أودغست- تمبكت - جيني -جاو -ولاته تلئدا -مدينه اقدز(اغاديس) شمال شرق نيامي عاصمة جمهوريه النيجر مدينه الزغاوه

دور الدعاة

2/دور الدعاة:

الدعاة هم الأفراد الذين تلقوا قدرا من العلوم الدينية التي تؤهلهم لهذا العمل وعلى رأسهم من فقهاء والعلماء والمشايخ والقراء والقضاة وقد امتدوا بالدعوة الا سلاميهنحو القارة الا فريقيهفعبر الصحراء وحملوا معهم فكر المذاهب المنتشرة في الشمال في الأصول والفروع وقد كانوا يحظون باحترام من قمة الهرم الاجتماعي الى قاعدته.

وقد كان هدفهم منصبا على الدعوة أولي الامر الحكام لضمان تأثيرهم على حاشيتهم دون ان يفقد منصبه بل يضفي عليهم امتياز امتيازات أخرى يحافظ من خلالها على مركزه ومكانته كما ان الاعتقاد بوجود الله هو أساس الشعور الديني عند الكثير من عبده الأوثان ولهذا يمكن ان يتحول الوثني الى الاسلام دون عناء

كما عمل الدعاة على تكوين دعاه من اهل البلد ولذلك أصبح من الممكن وجود في القرية الواحدة اكثر من داعية وأكثر من معلم ، كما ان سلوكهم السوي كان صوره حيه جعل تأثيرهم على السكان يكون كبيرا

* مراكز الدعوة كانت تتمثل فيي :المسجد- الرباط- الزوايا

من أهم دعاه عبد الله بن ياسين الجزولي الإمام محمد المغيلي التلمساني وغيرهما ،...

3/الهجرة:

وابرز هجره المسلمين الى مناطق التي كان طلائها الأولى خلال فتره البعثة النبوية حيث أشار النبي محمد ﷺ بان يتوجهوا الى الحبشة لان بها ملك لا يظلم عنده أحد.

لتسهم المحن التي مر بها المسلمون الأوائل قد دفعت بالكثير منهم للتوجه نحو شرق إفريقيا وتوغلوا من هناك في العمق الإفريقي

-فرار إمارة شيراز الا سلاميهفي القرن الرابع للهجرة حتم على حاكمها وأتباعه الخروج من شيراز والفرار الى الساحل الشرقي لإفريقي أين تمكن هؤلاء من تأسيس مملكه الزنج.

بالاضافة الى فرارا كثير من المسلمين الناقمين على النظام الأموي نحو شرق إفريقيا حيث وصلت بعض هذه الهجرات الى بحيرة تشاد.

4/ دور حركة الفتوحات الإسلامية:

هذه الفتوحات قصدت المنطقة في نشر الاسلام من ذلك حرك ة المرابطين بزعامة أبي بكر بن عمر اللمتوني الذي جاهد ملوك غانا الوثيين قبل وفاته سنه 480 هـ/1787 ميلادي بالإضافة الى جهاده ساهمت الرباطات المنتشرة في ربوع الصحراء في نشر الاسلام بين ساكنه المنطقة وبفضله انتشر المذهب المالكي في منطقه السودان الغربي ، كما ساهم الموحدون بدورهم بنشر الإسلامي هنا وخلال القرن السادس هجري 12 ميلادي ، حيث وصل نفوذهم حتى مملكه الكانم ومنطقه حوض السنغال وصولا الى الجنوب الشرقي من إفريقيا

ومن ضمن العوامل المساهمة أيضا في نشر الاسلام بالمنطقة هو قضيه تحريم الاسلام للاسترقاق أو يستعبد مسلم مسلما أخر وعليه فكثير من سكان القرن الإفريقي من الصوماليين والأحباش وغيرهم من السودانيين الذين تعرضوا لغزوات النخاسين دخلوا في الاسلام الذي يمنع عنهم احتكاكه من المسلمين وحدود التظاهرات معهم زاد انتشار الاسلام بين ظهرانيهم

5/الطرق الصوفية:

كان للطرق الصوفية ورجالها دور في نشر الاسلام بالمنطقة من ابرز هذه الطرق نجد:

أ/ الطريقه القادرية :التي دخلت شرق إفريقيا وبين اهل البادية وزاد نفوذها عندما أسست الشيخ إبراهيم الحسن جبر مركز لها عند بلده تقع على نهر جوبا اسمها برديوه وفي هذه المنطقة تأسس أول مركز من مراكز الاستيطان الجماعات الصوفية لزراعه الأرض واستخراج خيراتها لذلك يطلق عليهم اسم جماعه أو شجام ة نظرا لقدمها وبدء هذا النظام فيها ،وعلى يد بعض المهاجرين من واحة توات الكبرى انتشرت الطريقة القادرية في السودان منذ القرن التاسع عشر هجري/ الخامس عشر ميلادي واتخذ أولئك المهاجرون من ولاته أول مركز لطريقتهم ثم مدينه تمبكت ونشط جماعه القادرية في كل من الصحراء الكبرى والسودان وكان منهم الدعا ة والعلماء والمدرسون والتجار ممن حملوا الراية الدعوة الى الاسلام بتلك البلاد دعوه وتعليما وجهادا تبرز فقهاء وجماعات صغيره من المريدين الذين يلتحقون بالطريقة القادرية رسميا بعد أخذهم الأوراد.

وانتشر المريدون في أرجاء السودان الغربي من السنغال الى مصب النيجر ونهض ت المراكز الرئيسية لتنظيم دعوه القادرية في كتكا وتيمبو بفوتاجالون ببلاد المادينغ و وكانت هذه المدن تؤلف مراكز النفوذ الا سلامي هشعب وثني رحب بالقادرية باعتبارهم فقهاء وكتاب تمائمه ومعلمين وتسلطت القادرية على كل ما يتصل بها شيئا فشيئا وسرعان ما تطور الدخول في الاسلام الحالات فرديه الى حالات جامعيه ومن هؤلاء الذين اسلموا كانوا يرسلون الى مراكز الطائفة لإتمام دراستهم وكانوا يبعثون الى معاهد القيروان وطرابلس أو فاس أو الأزهر وربما قضوا في تلك البلاد عده سنوات حتى يتقنوا دراستهم الدينية ثم يعودون الى أوطانهم لنفي عقيدتهم وكان المسلمون الذين تربوا في مسلك نظام الصوفية التي تقوم على حب الجار والتسامح يؤسسون المدارس في السودان ويقومون بالإنفاق عليها وكان نشاط القادرية في الدعوة اذا طابع إسلاميه يعتمد على الإرشاد وان يكون الواحد منهم قدوه لغيره وبهذه السيرة برهن دعاه القادرية على أنهم أوفياء لمبادئ مؤسس الجماعة الذي أوصت تلاميذه بهذا السلوك ومن أشهر قاده القادرية في إفريقيا سيدي احمد البكاي الذي عاش في القرن التاسع هجري 15 ميلادي وعمل على نشر الدعوة في الجزء الغربي من الصحراء الكبرى وتعرف الطريقة البكائية وقد ازدهرت في إفريقيا ومنهم محمد بن عبد الكريم التلمساني الذي اتجه بجهوده الى الجزء الأوسط من الصحراء بين بلاد الهوسا كما نجد الشيخ السيد التائرزي الذي عمل على نشر الطريقة القادرية في غامبيا وغينيا وساحل الذهب.

ب/**الطريقة التجانيه**: تنسب الى الشيخ أبو العباس أحمد بن مختار بن سالم التجاني كان احد اهالي قرية عين ماضي بالجزائر.

رأى أتباع هذه الطريقة ان الجهاد واجب لنشر الإسلامي وان التسامح القادري لم يثمر في بعض الجهات الصحراوية التي دعوا فيها للإسلام لذلك علموا أتباعهم فنون الحرب وأمدوهم بالأسلحة ثم بدؤوا بسلسلة من الحروب لنشر الاسلام حول النيجر الأعلى والسنغال ويسمى هذه أتباع هذه الطريقة بالأحباب وقد حرم عليهم الانضمام في سلك طريقه أخرى وتتميز بتشددها ومناهضتها لطرق الصوفية الاخرى وانتشرت هذه الطريقة انتشار انتشارا واسعا في إفريقيا السوداء.

وظهرت هذه الطريقة في السودان الغربي على يد عمر الفو تي الذي كان أبوه من المرابطين وقامت على أساليب القادرية في الدعوة وساعدت كثره المدارس التجانيهعلى نشر تعاليمهم التي كانت متأثرة بتعليم القادرية والمرابطين الذين نشروا تعاليمهم بين القبائل الوثنية حول النيجر الأعلى والسودان وذلك في القرن الخامس هجري وعندما كثروا أتباع الحاج عمر نظر إليه الناس بوصفه مهديا منتظرا جديدا وفي سنه 1841 بلغ الحاج عمر جبال فوتاجالون وبدا بسلسلة من الحملات لنشر تع اليم التجانيهبين القبائل التي كانت لا تزال على الوثنية التي كانت تقيم حول النيجر الأعلى والسنغال.

ج/الطريقة السنوسية : هي الاخرى تعتبر من الطرق الصوفية التي كان لها اثر بعيد في نشر الاسلام في القارة الإفريقية وتنسب هذه الطريقة الى مؤسسها الفقيه الجزائري سيدي محمد بن علي سنوسي قد بدا بها عام 1837 لإصلاح شان الاسلام ونشر الدعوة وهذه الطريقة متأثرة بتعليم الوهابية وفي سنه 1859 كان قد نجح في تأسيس دوله دينيه وقد انتشر أتباع السنوسيه في إفريقيا الشمالية وتناثرت زواياه في غربي الدلتا الى المغرب كم امتدت الى الداخل في واحات الصحراء الكبرى والسودان.

استطاع الفقيه محمد السنوسي قبل وفاته ان يجعل من مدينه جغبوب مركزا لنشر الاسلام بين الزنوج الوثنيين وتغلغلت السنوسية في تلك الجهات وخاصة في **واداي** حيث قبل السلطان محمد الشريف ان يدخل الطريقة السنوسية الى سلطته وظل من اكبر أتباع سيدي محمد حتى و افته المنية .

ومن مركزهم في الجغبوب كان يتعلم مئات الدعاة في كل عام ثم يرسلون الى كافه أنحاء إفريقيا الشماليه دعاه للإسلام وفي أرجاء السودان والحبشة كان السنوسيون يقومون بشراء عبيد كانوا يعلمونهم في الجغبوب واذا ما رأوا أنهم تعلموا مبادئ الطريقة تعليما كافيا اعتقوهم واعدوهم الى أوطانهم ليدخلوا إخوانهم في الاسلام

د/**الطريقة الميرغنية:** تنسب الى محمد بن عثمان الميرغني الذي كان يتمتع بشهره واسعة كمعلم ديني في مكة المكرمة وكان الزعيم الروحي لجماعه الخضرية وقد أرسل ابن إدريس الميرغني في رحله الى إفريقيا نشر الاسلام ولما عبر البحر الأحمر الى القصير شق طريقه حتى بلغ النيل ولكنه لم يصادف في رحلته الى عالي النهر نجاحا كبيرا حتى وصل الى أسوان ونجحت رحلته من أسوان حتى قال نجاحا تاما وقد أسرع النبيون الى الدخول الى الطائفة التي كان ينسب إليها عثمان الميرغني وأثرت فيها هؤلاء الناس تلك الأبهة الملكية التي كانت تحيط به تأثيرا فعالا كما جذبت إليه كراماته بنفس الوقت عددا كبيرا من الأتباع وفي دنقلة لا تحرك محمد عثمان من وادي النيل يذهب الى كردفان حيث مكث زمنا طويلا وهناك بدا عمله في نشر الدعوة بين الكفار وكانت قبائل عديدة في البلاد وحول سنّار لا تزال على الوثنية ونجحت دعوته بين هؤلاء القوم نجاحا رائعا جدا وعمل على توطيد نفوذهم فيهم بان تزوج ببضع زوجاتهم فتولى نسله منهم بعد ان مات في سنه 1853 نشاط الطائفة التي أسسها وتسموا ميرغنية نسبه إليه

لقد كان لجهود الصادقة التي بذلتها الطرق الصوفية النشر الاسلام لتعليم الدعوة الخالصة الأثر في تحويل إدخال الا فارقهم من الوثنية الى الاسلام وتثبيته في نفوسهم